

من أوراق النشاط الصهيوني في العراق .. معلومات
تنشر لأول مرة

«الجمعية الصهيونية في العراق ١٩٢١»

رغد صالح الهدلة
اتحاد المؤرخين العرب - بغداد

من أوراق النشاط الصهيوني في العراق .. معلومات تنشر لأول مرة

«الجمعية الصهيونية في العراق ١٩٢١»

عدت الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، ويرجع زمن الوجود اليهودي في العراق إلى عصور دول حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة.

وهذا ما ميّز الطائفة اليهودية العراقية عن نظيراتها من الطوائف اليهودية في بلدان أخرى، غير أن أعداد اليهود في تلك العصور التالية لم تكن واضحة ومعلومة، بسبب عدم وجود إحصائيات رسمية وموثقة.

في العصر الحديث كانت بعض الإحصائيات لأعداد اليهود في مناطق متفرقة من العراق، تشير إلى أنه في عام ١٨٢٦م، كان يسكن مدينة الحلة/٢٥ خمس وعشرون أسرة يهودية مقابل عشرة آلاف أسرة مسلمة^(١)، وفي عام ١٨٤٨م قدر عدد العوائل اليهودية الساكنة في بغداد بـ/٣٠٠٠ عائلة فقط ثلاثة آلاف^(٢).

أما في العقد الثاني من القرن العشرين، فجاءت الإحصائيات أكثر دقة، حين أعلن عن تخمين رسمي عام ١٩١٩، بأن عدد اليهود في مدينة الحلة بلغ /١٠٦٥/ فقط ألفاً وخمسة وستين شخصاً من بين /١٧٣٠٠٠/ مائة وثلاثة وسبعين ألف شخص يسكنون الحلة^(٣).

ولكن رغم تلك التخمينات، فمن الصعب تحديد رقم دقيق لعدد اليهود في العراق.

وفي عام ١٩٢٠م بلغ المجموع السكاني للعراق /١,٧٥٤,٥٠٠/ نسمة، أما عدد السكان اليهود فبلغ /٥٨/ ثمانية وخمسين ألفاً وذلك حسب تخمينات الإدارة البريطانية^(٤).

والذي يبدو واضحاً، أن أدق إحصاء لعدد اليهود في العراق كان في عام ١٩٤٧م، عندما أجري إحصاء لسكان العراق، وهو يمثل أول الإحصاءات الرسمية العراقية، إذ بلغ عدد اليهود في ذلك الإحصاء ١١٨/ مائة وثمانية عشر ألفاً، من مجموع السكان البالغ ٤,٥/ أربعة ملايين ونصف المليون نسمة^(٥). ولكن هناك من يعتقد أن إحصاء عام ١٩٤٧م لم يكن دقيقاً بصورة كاملة، لأن الرقم الذي ذكر عن أعداد اليهود لم يكن دقيقاً، وإنما هناك زيادة حقيقية على الرقم المذكور، قدرت بـ ٢٠/ عشرين ألف نسمة^(٦) على الأرقام الرسمية المعلنة.

إن الزيادة الحاصلة في أعداد اليهود فتحت أمامهم أبواباً واسعة لممارسة نشاطاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية، وتعد فترة الاحتلال البريطاني للعراق ما بين (١٩١٤ - ١٩١٨) من أخصب فترات النشاط اليهودي، خاصة في نمجّر السياسي الذي طبع بطابع الصهيونية، وامتد ذلك النشاط حتى ما بعد قيام دولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١م.

ففي عام ١٩٢١م، تقدم أحد يهود بغداد، ويدعى "هارون ساسون إليياهو ناحوم"^(٧) بطلب إلى المندوب السامي البريطاني ببغداد، لتشكيل جمعية باسم "الجمعية الصهيونية" فحصل على موافقة بذلك بتاريخ ١٩٢١/٣/٥م^(٨).

وعن ذلك يقول "هارون" إنه منح وكالة رسمية عن الجمعية الصهيونية في فلسطين لتشكيل جمعية صهيونية في العراق^(٩).

وعن كيفية إرسال تلك الوكالة إلى "هارون" تبين أن وزارة المستعمرات البريطانية هي التي قامت بإرسالها عن طريق المندوب السامي في العراق^(٩).

وعلى الرعد من وضوح هدف تشكيل الجمعية في خدمة التوجهات الصهيونية، إلا

(٥) كان يلقب بـ (مو هـ) أي المعلم.

أن "هارون" يشير إلى امتيازات شغله لمنصب رئيس الجمعية، بقوله: إنه عبارة عن مختار محلة فخري بدون راتب، وإن طبيعة وظيفته تنحصر في تدقيق وتحقيق ما ينص عليه القانون الخاص بالهجرة، الذي وضعته المنظمة الصهيونية العالمية لتنظيم هجرة اليهود من بلدانهم إلى فلسطين^(١٠).

بعد مرور أيام قلائل على تأسيس الجمعية المذكورة، أخذ "هارون" يدعو اليهود إلى الانضمام إليها، كاشفاً عن الوجه الحقيقي لمنظمتها، مما دعا "هارون" إلى القول:

إن عملية انتساب اليهود إلى منظمتها يعد انتصاراً للوحدة الصهيونية، فسارع اليهود إلى الانضمام لتلك الجمعية، الأمر الذي مكن "هارون" من تشكيل أول هيئة عامة للجمعية من هؤلاء اليهود، ويعد ذلك أول تشكيل تنظيمي رسمي للجمعية، فكانت على النحو التالي:

- هارون ساسون إليياهو ناحوم - الرئيس
- داود نوري - سكرتير مجلس الانضباط العام - السكرتير
- أنور شاؤول - محام - عضو
- عزرا حداد - مدير المدرسة الوطنية (يهودية) عضو
- سلمان مراد - بزاز - عضو
- هارون شوجبط - مدرس - عضو
- سلمان شينا - محام - عضو

وفي هذا الصدد، نرى أن ما ذكر حول التشكيل الرسمي للجمعية، من قبل بعض الذين كتبوا في هذا الموضوع لم يكن دقيقاً وصحيحاً. حيث أن ما ذكره - صادق حسن السوداني في دراسته المعنونة بـ "النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٢"^(١١) عن صيغة تشكيل الهيئة لم يكن دقيقاً، وذلك بسبب اعتماده بشكل أساسي

وكبير على دراسة "حاييم كوهين"^(٩) التي ارتسمت بعدم الدقة، واختلاق روايات مزعومة.

إن تشكيل الهيئة المذكورة يعد نقطة انطلاق لعمل الجمعية، التي تابع مؤسسوها وأعضاؤها العمل على ترغيب اليهود بالسفر إلى فلسطين، وتحريضهم على الهجرة إليها، وشراء الأراضي فيها، كما أن رئيس وأعضاء الجمعية، اخذوا يشتركون في الجرائد والمجلات الصهيونية الأجنبية باسم "الجمعية الصهيونية العراقية"^(١٢). ومنذ ذلك الحين أخذت الجمعية تبث الفكرة الصهيونية في العراق باسمها الصريح دون تمويه، أو التستر وراء اسم آخر. وفي ذلك يخطئ - السوداني - مرة أخرى، حين يقول "إن الجمعية الصهيونية أثناء فترة الترخيص لها لم تعمل باسمها الكامل والصريح بل تحت اسم لا يثير الشكوك والريب ألا وهو "الجمعية الأدبية الإسرائيلية"^(١٣).

إن ما ذكره السوداني يستدعي التوقف بعض الشيء، ولا سيما قوله: إن الجمعية الصهيونية بعد موافقة المندوب السامي عملت باسمها الصريح، وإن تسمية الجمعية الأدبية الإسرائيلية، كانت تطلق على جمعية تأسست في عام ١٩٢٠ - ترأسها ضابط يهودي كان في عداد الشرطة البريطانية، يدعى "سلمان حيا" والذي اغتيل في ١٩٢٠/١٢/١١، مما أدى إلى نشوب خلاف بين أعضاء الجمعية حول أسلوب إدارتها، فانفصلت مجموعة أكثر حماساً للفكرة الصهيونية واتجاهاتها، وتقدمت بطلب

(٩) حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مترجم عن العبرية، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد ١٩٧٣.

(١٢) دراسته، ص ٣٩ (للتفصيل، انظر: هشام فوزي حسني عبد العزيز، النشاط الصهيوني في العراق خلال فترة الانتداب البريطاني، مجلة دراسات تاريخية. تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة العاشرة، العددان ٣١-٣٢، آذار - حزيران ١٩٨٩، ص ٦٧).

إلى المندوب السامي البريطاني، فحصلت على موافقته، فتشكلت بذلك الجمعية الصهيونية في بلاد ما بين النهرين، واستمرت بالعمل تحت ذلك الاسم، موضوع بحثنا.

وبعد، فإن الإعلان الرسمي عن تشكيل أول هيئة للجمعية، مكن الكثير من اليهود من الانضمام إلى الجمعية بعد اجتيازهم الشروط التي وضعتها الجمعية لقبول الأعضاء الجدد وهي: (١٣)

١- يجب ان يكون يهودياً.

٢- أن يرشح من قبل عضوين اثنين.

٣- أن يقبل من أربعة أشخاص من الأعضاء القدامى.

وعليه فإن المنعطف الهام في حياة الجمعية الصهيونية، كان عند قيام الحكم الوطني في العراق عام ١٩٢١، وتشكل الحكومة العراقية، حيث لم يتم الاعتراف بالجمعية الصهيونية ولم تقبل بوجودها، بل أعلنت "هارون" نفسه بأن جمعيته لم تشكل حسب القانون في العراق - قانون الأحزاب والجمعيات - ولهذا فإن كل اشتغال بهذا العنوان معاقب عليه^(١٤). وأن الحكومة لا تعترف بأية جمعية قائمة من هذا القبيل ما لم يتم تشكيلها وفق قانون تأليف الجمعيات.

اتخذ تعامل الحكومة مع موضوع الجمعية شكلاً جدياً أكثر حين أخطرت "هارون" بأن كل أشغال أو أعمال تقع ضمن هذا العنوان من جانبكم يكون معاقباً عليها^(١٥).

إلا أن هارون ساسون وجمعيته لم يتوقفوا عن ممارسة نشاطهم الصهيوني، حتى جاء عام ١٩٢٩م، الذي تمكنت فيه الجمعية الصهيونية من افتتاح "مدرسة الفرندوس اليهودية" في محلة "تحت التكية" وسط بغداد، وتعد من أقدم المدارس اليهودية، وأصبح "هارون ساسون" مديراً لها بموجب أمر الإجازة الصادر من مديرية معارف منطقة بغداد برقم ٨٤٥/٧٨/٣ في ١٥/٣/١٩٣٠^(١٦). فاستغل "هارون" فترة إدارته للمدرسة

المذكورة بعقد اجتماعات الجمعية الصهيونية في المدرسة بعد أوقات الدوام الرسمي.
وفي عام ١٩٣٠م تم إجراء انتخابات جديدة للجمعية الصهيونية وتشكلت هيئة إدارية جديدة أو هيئة الإدارة — فكانت على الشكل التالي:

- هارون ساسون الياهو — الرئيس.
- سلمان شينا — السكرتير.
- ساسون مراد — موظف في متصرفية لواء بغداد — عضو.
- داود نوري — عضو.
- مير بصري — موظف في مديرية البرق والهاتف — عضو.
- كرجي شينا — موظف — عضو.
- عبد الله شينا — مخمن في ضريبة الدخل في وزارة المالية — عضو.
- موسى أفندي — طبيب — عضو.
- حيوان زليخة — سكرتير سابق لوزارة الاقتصاد والمواصلات — عضو.
- مؤنير — صيدلي في مشفى المجيدية — عضو.
- فرايم — صيدلي — عضو.

وفي أوائل عام ١٩٣١م، ولأجل تفعيل نشاط الجمعية تم تشكيل فرع لها باسم جمعية "شيمش" وعين المدعو "حزقيل أفندي" — الذي كان قاضياً في المحاكم المدنية — رئيساً لها، وكان ذلك بأمر من "هارون ساسون" فأخذت جمعية "شيمش" بعقد اجتماعاتها في منطقة — التوراة — وهي محلة تحت التكية ببغداد. وحاول "هارون" أن يفتح مدرسة باسم الفرع المذكور، لتدريس أطفال اليهود، لكنه لم ينجح في ذلك، غير أن جمعية "شيمش" استطاعت بعد فترة أن تنشأ لها مكتبة أطلق عليها مكتبة "شيمش" في محلة بني سعيد ببغداد. ووكّل "ناجي يعقوب" الساكن في نفس المحلة ليقوم بإدارتها، فأخذ التلاميذ اليهود في التردد على تلك المكتبة لقراءة الجرائد والكتب

العبرية، حتى استطاع "هارون" أن يعين ثلاثة مدرسين يهود هم "يوسف توربيل" (*) و "سول شلايدر" (**) و "إسحق ياكوبونفيس" (***) للقيام بتلك المهمة، وتم وضع أجور تدريس للتلاميذ الراغبين بتعلم اللغة العبرية. تميزت تلك الأجور بكونها زهيدة جداً، وقسمت إلى فئتين:

الأولى / ١٠ عشرة فلوس، والفئة الثانية / ٢٠ عشرون فلساً، كان القصد ترغيب أكبر عدد ممكن من اليهود لتعلم اللغة العبرية.

كما أن المدرسين في جمعية /شيمش/ كانوا يقومون بمهمة جمع إعانات مالية باسم الجمعية عن طريق التبرعات لإرسالها إلى "الكيرن كيمت" (جمعية الرأسمال اليهودي).

لقد جاء في دراسة السوداني - المذكورة أن الذي "يدخل الكنيس يجد نفسه أمام عدة صناديق بأسماء مختلفة، لكنها في الحقيقة تصب جميعاً في مصب واحد يهدف إلى تعزيز النشاط الصهيوني في فلسطين - ومن أسماء الصناديق المذكورة المترجمة إلى العربية، راحيل أمنا/ تعليم التوراة/ رني مينر/ ربي شمعون/ بريوحاي/ إعانة الغرباء/ ساندي التوراة/ الفدية/ علم داود أورشليم (أي العلم الصهيوني)/ الرأسمال القومي اليهودي... (١٧)

(*) يوسف توربيل بن ميرشماتش، يهودي عراقي من مواليد بغداد، مهنته نجار، غادر العراق إلى فلسطين بدون جواز سفر سنة ١٩٢٤، وعاد إلى العراق سنة ١٩٣٣.

(**) سول شلايدر، بولوني الجنسية، درس اللغة العبرية في مدرسة شيمش في بغداد، دخل العراق عن طريق سورية عام ١٩٣٣.

(***) إسحق ياكوبونفيس، تركي الجنسية، من مواليد أسطنبول، دخل العراق عن طريق إيران سنة ١٩٢١، درس اللغة العبرية في مدرسة (الليانس) في بغداد، حصل على الجنسية العراقية سنة ١٩٣٠.

وفي هذا الصدد أقول وتصحيحاً لما ذكره - السوداني - "إن الحكومة قد حذرت "هارون" من مغبة الاستمرار في جمع الإعانات المالية، إلا أنه استمر بالتهريض على جمع الإعانات، حتى وضع / ١٠ عشرة صناديق لجمع تلك التبرعات ولكنها توزعت في محل وجود أعضاء الجمعية وأماكن عباداتهم، وليس كما ذكر - السوداني - من أنها وضعت جميعها في كنيس واحد لتنفيذ مهمة جمع الإعانات، إلى درجة أن أكثر البيوتات اليهودية وضعت صناديق جمع الإعانات في بيوتهم وكانت كلها بالأسماء العبرية، ولا أعرف كيف استطاع - السوداني - أن يجعل اسم "بريوحاي" اسماً عربياً..

وهكذا بقي "هارون" صهيونياً متعدد النشاطات إلى أن هاجر من العراق عام ١٩٣٥م. بعد أن تم اعتقاله وإطلاق سراحه بكفالة، وبهجرة "هارون" لم يبق للجمعية الصهيونية التي أسسها في عام ١٩٢١م أي نشاط بينما استمر نشاط الجمعيات الأخرى، التي سيأتي الحديث عنها في أبحاث لاحقة.

الهوامش

- ١- يتسحاق أبيضور، بحوث تاريخية عن اليهود العراقيين وثقافتهم، منشورات مركز التراث اليهودي في بابل، إسرائيل، ١٩٨٢ (باللغة العبرية)، ص ٨٧.
- 2- ABBAS SHIBLAK, *The Lure of zion, The case of Iraqi Jews.* London, Al- Sagi Book, 1985. [21].
- ٣- يتسحاق أبيضور، المرجع السابق، ص ٩٥.
- 4- ABBAS SHIBLAK... p. 18. Op Cit. p 18
- 5- ABBAS SHIBLAK... p. 18.
- 6- ABBAS SHIBLAK... p. 18.
- ٧- كتاب وزارة المعارف العراقية إلى وزارة الداخلية - ذي الرقم س / ٤٠ - في ١٩٣٥/١/٢٤. (وثيقة لم تنشر).
- ٨- نفس المصدر.
- ٩- المصدر نفسه.
- ١٠- نفس المصدر.
- ١١- دراسته، ص ٣٦.
- ١٢- كتاب شعبة التحقيقات الجنائية المركزية إلى وزارة الداخلية، ذي الرقم ش.ح ١٦٤٨ في ١٩٣٤/١٠/١٠ (وثيقة لم تنشر).
- ١٣- كتاب مديرية الشرطة العامة (العراق) إلى وزارة الداخلية، ذي الرقم ش.ح

١٦٤٨ في ١٠/١٠/١٩٣٤.

١٤- كتاب وزارة الداخلية، المكتب الخاص إلى متصرفية لواء بغداد، المرقم م خ ٢٣٤ في ١٣/٢/١٩٣٥ (وثيقة لم تنشر).

١٥- كتاب متصرفية لواء بغداد، إلى هارون ساسون، ذي الرقم ٣٤٧٨ في ٢٨/٣/١٩٣٥ (وثيقة لم تنشر).

١٦- كتاب وزارة المعارف، تقرير مفتش المدارس الأهلية والأجنبية إلى وزارة الداخلية ذي الرقم س/٤٠ في ٢٤/١٢/١٩٣٥. (وثيقة لم تنشر).

١٧- السوداني، دراسته، ص ٥٤.